قراءات في الكتاب المقدس (الجزء 9)

وسام مارزينا
اخوة يسوع الفادي

سنقدم لمحة سريعة تاريخية عن تلك الفترة (الامبراطورية الرومانية)، تشمل كافة الأوضاع (السياسة, الاجتماعية, الاقتصادية, الدينية , الأدبية,...) ومن ثم نتطرق إلى أدبيات تلك الفترة, محاولين إبراز ما أرادت أن تقوله وتبينه تلك المؤلفات[1].

وربما هناك من يسأل, ما علاقتنا بهذه التفاصيل والأسماء الغريبة ؟ نعم, لا علاقة لنا بهذه التفاصيل, لكنها مهمة جداً، فهي تساعدنا على فهم الكثير من الأمور الصعبة التي نلاقيها عند قراءتنا للكتاب المقدس .

الاحتلال الروماني

في عام 63 ق.م، استولى القائد الروماني بمبيوس على سورية وفلسطين, وطُبقت القوانين الرومانية في إدارة تلك المناطق. حصل هيرودس الكبير عام 38 ق.م على لقب ملك اليهودية, فكانت السامرة وغزة تحت حكمه, وإثناء تلك الفترة الطويلة (37 – 4 ق.م) بدأ بإعادة بناء الهيكل وتجميله (حوالي عام 20 ق.م), وقبل موته بسنتين أو ثلاث ولِد يسوع (7 – 6 ق.م). وبعد موته تولى أبناؤه الثلاثة الحكم في ثلاث مناطق: أرخلاوس على اليهودية والسامرة، هيرودس انتيباس اميرا على ربع الجليل وبيوته في عبر الأردن، وفيلبس على ربع الجولان وباشان وطراخونيطس وايطورية. وعلى اثر خلع ارخلاوس ونفيّه من قبل اوغسطس قيصر عام (6م)، أصبحت اليهودية إقليما رومانيا عاصمته قيصرية, ويديره ولاة رومانيون. أما في زمن الإمبراطور كاليغولا أصبحت اليهودية والسامرة تحت حكم أغريبا الأول (حفيد هيرودس الكبير) الذي سيضطهد الكنيسة الناشئة (رسل 12). أما ابنه أغريبا الثاني فقد تولى أجزاء من فلسطين وفي حضرته فشل بولس في الدفاع عن نفسه (رسل 26). ومع بداية الستينات أصبح نيرون إمبراطوراً على الرومان، وبقدومه حلّ نوعٌ من "السلام" لكنه لم يدم, مما جعل غسيسيانس الإمبراطور عام 69 يقوم بإرسال ابنه طيطس لمحاصرة أورشليم, وتمخض عن ذلك سقوط أورشليم وخراب الهيكل عام 70 م!. وقامت بعد ذلك عدة محاولات من قبل اليهود للإعادة أورشليم إلا أنها لم تنجح, فدُمرت أورشليم نهائيا وحُرم اليهود من الإقامة فيها اثر انتفاضة سمعان بن كوسيبا عام 135م.

اليهود والمسيحيون

كان اليهود يمثلون 10٪ من سكان الإمبراطورية, وكانوا يتمتعون بحريةٍ نسبية, وينتابهم شعور بالغبن والذل.... ازداد هذا الشعور عمقاً إبان حكم الولاة الرومان على فلسطين وإن كانوا حوالي نصف مليون على ارض اليهودية (لن تسمى فلسطين إلا بعد سنة 135م), إلا

---

1) نعتمد في قراءتنا هذه: عفاص؛ (الأب) بيوس: قراءة مجددة للعهد الجديد, مركز الدراسات الكتابية في الموصل .

أنهم كانوا في حدود سبعة أو ثمانية ملايين في الشتات, ويشهد سفر الأعمال على وجود جماعات يهودية مزدهرة ونشطة في الشتات. وكان لليهود في ظل الإمبراطورية نظام خاص, إذ كانوا يعفون من الخدمة العسكرية ويسمح لهم بحفظ يوم السبت ودفع الضريبة السنوية لهيكل أورشليم....

أما المسيحيون, فما كانوا أول الأمر سوى "شيعة" على هامش الدين اليهودي, في الأمانة على الإسفار المقدسة وملازمة الهيكل وممارسة شعائر العبادة فيه... وقبل اندلاع الثورة اليهودية كان المسيحيون قد تركوا المدينة المقدسة ولجأوا إلى بيلا شرقي الأردن, في منطقة "المدن العشر" وبعد مأساة عام 70م التي تمخضت عن خراب أورشليم وتدمير هيكلها, وهو مركز الدين اليهودي - كان قد اجتمع بعض من الفريسيين الانقياء في يمنيا[2], وفي هذا الاجتماع اتخذت تدابير لمنع المسيحيين من المشاركة في العبادة اليهودية في المجامع, فكانت القطيعة بين الدين الرسمي وهذه "الشيعة المنبوذة"! وستصبح في نظر الشرع الروماني "دينا غير شرعي" وأصبحت ملاحقةِ إتباعه ممكنة وشرعية أمام القانون! يعكس سفر أعمال الرسل تلك المؤامرات التي كان اليهود يحوكونها ضد المسيحيين, والاتهامات الجائرة التي كانوا يوجهونها إليهم **(انظر رسل 13: 50؛ 14: 19؛ 19: 9؛ 21:7...).**

[2] مجمع يمنيا: بعد تدمير هيكل أورشليم عام 70م أسرع بعض الفريسيون الغيارى لنجدة الدين اليهودي من الانهيار, من خلال تأسيس مدرسة يمينيا برئاسة رابي يوحنان بن ذكاي فكانت ردة الفعل قوية فجاءت متشددة ومتزمتة مما جعل الطابع الفريسي يطغي على التغيرات الجديدة.

فلسطين

كانت فلسطين في تلك الفترة تشهد حركة اقتصادية وتجارية نشطة, وتقوم على استيراد بعض المواد (كالأخشاب, الاطياب, الذهب...) وتصدير البعض الآخر خاصة المحاصيل الزراعية المنتجة من سهول فلسطين الخصبة. وكان ذلك حكراً على كبار التجار, وهذا ما ابرز التفاوت بين الطبقات؛ طبقة الأغنياء وطبقة ذوي الدخل المحدود أو الفقراء,ومن جانب آخر وجود وظائف دينية بحلة اجتماعية ومراكز اجتماعية. بهذا المعنى يمكننا أن نميز عددا من الفئات التي يغلب عليها الطابع الديني كالكهنة والشيوخ والكتبة, ويمكن إضافة العشارين الذين كانت وظيفتهم تجلب لهم نقمة الشعب[3], سيكون لهذه الفئات دور

[3] **الكهنة:** هناك نوعين من الكهنة إن صح التعبير: كهنة أورشليم الذين يؤلفون مع رئيسهم **"عظيم الأحبار"** فئة أرستقراطية تنعم بإمتيازات وتعيش بالرغد والرخاء... في زمن يسوع تولى حنان رئاسة الكهنوت بين الأعوام (6 – 15 م), فيما تولاها صهره قيافا بين الاعوام (18- 36 م). هؤلاء الكهنة كانوا أعضاء في مجلس أورشليم الذي كان يضم 71 عضواً, برئاسة عظيم الكهنة؛ من مهام المجلس تنظيم الحياة الدينية واعطاء الفتاوى والأحكام.أما كهنة القرى والأرياف الذين يبلغ عددهم حوالي 7200 كاهن, كانوا يقاسمون الشعب عيشته

كبير في حياة الشعب وتحديد مصير بعض الأشخاص. وبسبب الإضطهادات والصراعات والمنازعات الدينية والسياسية التي عرفها المجتمع اليهودي في القرنيين الأخيرين (ق.م)، نشأت مذاهب وشيع دينية في قلب اليهودية (الحسيديم, الفريسيون, الصدوقيون, الاسينيون, جماعة قمران)[4].

وشهدت أيضاً نشوء حركات وجماعات سياسية (الحركات المعمذانية, السامريون, الهيرودسيون, الغيوريون, الوثنيون)[5].

البسيطة والفقيرة, بعضهم كانوا كتبة وأكثريتهم كانوا ينتمون إلى تيار الفريسيين.

الشيوخ: أغلبيتهم غير منتمين إلى الطبقة الكهنوتية, إلا أنهم أصحاب المراكز الوضيعة في المجتمع ويمثلون فئاته في مجلس اليهود الأعلى (السنهدريم). ولذلك كان لهم ثقلهم في القرارات.

الكتبة: بسبب غياب الأنبياء في القرون الأخيرة (ق. م) أصبحوا عقل الشعب وضميره بحكم ثقافتهم الكتابية. بعضهم من السلك الكهنوتي إلا أن معظمهم علمانيين ومن الطبقة الوسطى, نسبة كبيرة منهم تنتمي إلى تيار الفريسيين. ويبقى اسم أستاذ بولس غمالائيل يشهد على أن ليس كلهم ذات موقف سلبي من الكنسية الناشئة (رسل 5: 24 ,22: 3).

العشارون: هم الجباة الذين يعملون لحساب الوكلاء أي رؤساء العشارين (لو 19- 1) وكانوا يجبون الضرائب لسلطات الاحتلال الروماني بالرغم من كونهم يهود, لذا كان الشعب يحتقرهم ويعتبرهم خطاة.

[4] **الاسينيون:** جماعة قمران هم اشبه بجماعة "رهبانية" عاشوا في حدود العام 100 ق.م حياة مشتركة بعيدة عن الحياة العامة, عاكفين في البرية على الصلاة والتأمل في الاسفار المقدسة. إعتبروا قادة السلطة الدينية في اورشليم مسؤولون عن الشرور التي تحل بالامة. ومن هنا كان رفضهم لكل اشكال الذبائح التي تقرب في الهيكل. كانوا يمارسون العماذ كعلامة للتوبة الباطنية في انتظار مجئ الروح ويوم يهوه.

[5] **الحركات المعمذانية:** في اعقاب تطهير الهيكل على يد يهوذا المكابي عام (164 ق.م) ظهر تيار معمذاني يهدف الى اذكاء روح التوبة لدى اليهود الذين اخذوا يدركون بأنها السبيل الوحيد لارضاء الله, وهكذا انتشرت بين (150 ق.م) والسنة (300 ق.م) بين يهود فلسطين ويهود الشتات حركات معمذانية منظمة, تدعو في خط الانبياء الى التخلي عن الذبائح التي تقدم في الهيكل, وممارسة اعمال التوبة عبر معمودية الماء التي ترمز الى التطهير.

الهيرودوسيون: هم انصار هيرودس الكبير كانوا يؤيدونه في تعامله مع سلطات الاحتلال الروماني وكثيرا ما كانوا متواطئين معها بهدف الحفاظ على مصالحهم. ازداد نفوذهم في عهد هيرودس انتيباس الذي وصفه يسوع بالثعلب (لو 13: 32...) وقد أبدى الهيرودوسيون عداء شديداً ليسوع, وكان لهم دور في التآمر على قتله (متى 22 :16 ..).

الغيوريون او الغيارى: تمثل هذه الفئة الجناح السياسي المتطرف من مذهب الفريسيين, هم يهود متزمتون لا يترددون من فرض احكام الشريعة بالقوة, ودفعتهم "غيرتهم" الى تنظيم المقاومة المسلحة ضد الرومان, في حين كانت هذه المقاومة سلمية عند الفريسيين, وتلميذ يسوع سمعان "الغيور" الذي اراد ان يقيم يسوع ملكا (يوحنا:6) كان ينتمي الى هذه الجماعة.

الوثنيون: اعتبر اليهود المختنون الأخرين, وثنيين, وهم الامم؛ القلف, الغير المختونين لكن هؤلاء كان بوسعهم الانضمام لشعب الله. والمنظمين منهم هما صنفان من المتهورين.

يسوع الناصري

ولد يسوع في عهد هيرودس (6م) وعاش في الناصرة عيشة يهودي تقي. مارس الشريعة بروح الفريسيين إلى عام 27 أو 28م اعتمذ على يد يوحنا المعمذان, وكان هذا الحدث بدء حياته العلنية التي طالت سنتين أو ثلاث سنوات, ثم اختار بعض التلاميذ واخذ يعلن معهم؛ بأقواله ولاسيما بأعماله وحياته, مجيء ملكوت الله. حكمَ عليه المسؤولون الدينيون, فصلبه الرومان, في 7 نيسان من سنة 30 م على الأرجح.

وحين نسعى إلى معرفة يسوع معرفة تكون اقرب ما تكون إلى شخصيته التاريخية, نلاقي مشكلةً؛ وهي ان يسوع لم يكتب شيئا. ولم يطلب من تلاميذه أن يكتبوا شيئا, ليس هذا فحسب, بل في كثير من الأحيان لم يكونوا يفهمون الكثير من أقواله وأمثاله, كما شكّوا في بعض مواقفه وبعض تصرفاته. وثمة مشكلة أخرى في سعينا هذا, هي أن كل ما نعرفه عن أقواله وأعماله, إنما نعرفه من خلال ما رواه الانجيليون، ولم يكونوا دوما شهود عيان، وما رأوه هو بعد مضي حوالي نصف قرن أو أكثر على الأحداث,وكان مفعما بإيمانهم بقيامة يسوع المسيح التي قلبت الأمور رأساً على عقب! وسنبقى نعاني من سوء الفهم طالما نتناسى أن ما دوّنه الإنجيليون, إنما دونوه على ضوء إيمانهم بقيامة يسوع! إن ما قام به يسوع خلال رسالته، هو النداء باقتراب ملكوت الله! وكان لهذا النداء صدى في نفوس يهودٍ انقياءٍ ما انفكوا ينتظرون بشوق ورجاء ملك الله, في غمرة معاناتهم, بسبب الاستعمار الروماني على فلسطين... وزادتها ألماً التعديات التي يقترفها الأغنياء من شعبهم بحق الفقراء والمسالمين. ولكم بدا هذا الملكوت قريباً حين اخذ يسوع يجترح معجزات وهي علامات لمجئ هذا الملكوت, وهي علامات ودليل بالقول والفعل على اقتراب حلول هذا الملكوت؛ خاصة في مواقفه تجاه الخطاة ومحاولة تحريرهم من شر الخطيئة، وهذه كانت ابرز العلامات لهذا الاقتراب. أثارت مواقفه هذه غضب الرؤساء الدينيين, الذين قرروا انه يستوجب الموت حتى دون الحاجة إلى شهود.

انتهينا في القسم الأول عند موت يسوع, سوف نبدأ القسم الثاني من الحدث المؤسس والانطلاقة الجديدة!

الحدث المؤسس

هل كان يسوع نهاية كل شيء؟! للجواب على هذا السؤال نقول: هل ترك الله شعبه في مصر؟! فكما كان حدث الخروج من مصر (القسم اليهودي) الحدث المؤسس لشعب العهد

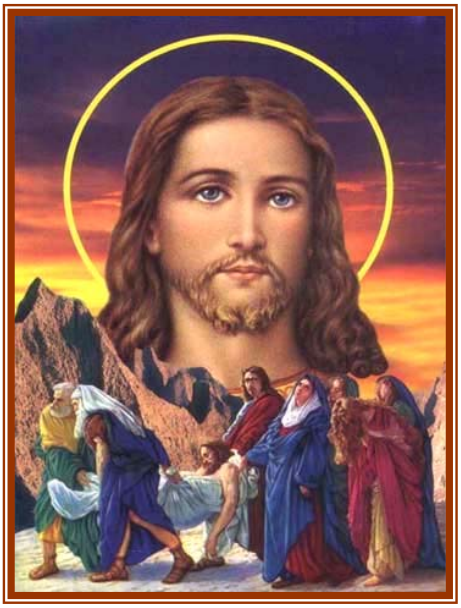

الدخلاء: وثنيون مهتدون قبلوا الشريعة مع احكامها بما ذلك الختان وسائر الممارسات (رسل 3: 2).

خائفو الله: وثنيون متعاطفون مع الايمان اليهودي , يعبدون الله بمخافة يقبلون بعض الالتزامات والممارسات دون ان يختتنوا (رسل 10 : 20- 22 ...).

القديم, (وقد رأى فيه منطلقا لإيمانه وقاعدة له), هكذا تشكل حقيقة قيامة يسوع حدثا مؤسِساً للإيمان المسيحي, كما سيكتب بولس "... إن كان المسيح لم يقم, فتبشيرنا باطل إيمانكم أيضاً باطل..." **(اقو 15 : 14)**. إلا أن من المفارقة أن يكون "حدث" القيامة خارجا عن نطاق البحث والتقصي التاريخي بحصر المعنى, كونه ينتمي إلى مدار الإيمان. وهو ذاته من قبيل الخبرة الوجدانية التي تخرج عن نطاق الخبرة الحسية والبرهان التاريخي! فإذا كان بوسع الأدلة التاريخية أن تثبت زمن يسوع والحكم عليه بالموت... وإذا كان بوسعها أيضاً أن تبرهن على قيام جماعات مسيحية هنا وهناك, تنادي أن المسيح رباً ومخلصاً... إلا أنها تعجز عن إقامة البرهان على قيامة يسوع والتي تشكل الرباط الوثيق بين الحدثين التاريخيين المثبتين بالأدلة: حدث صلب يسوع من جهة, وحدث نشوء الجماعة المسيحية الأولى من جهة أخرى. فلولا القيامة لما كان لهذين الحدثين المعاني والأبعاد التي اكتسباها. إن إيمان الرسل بقيامة يسوع هو نقطة تحول كبرى في حياتهم! فقد كان وراء عملية استذكار وإعادة القراءة للخبرة التي عاشوها مع يسوع الناصري, وما تخللها من أحداث, كانوا فيها الشهود المميزين لأقواله وأمثاله ومعجزاته ومواقفه... فعلى ضوء إيمانهم بقيامته - بعد أن أصيبوا بخيبة أمل مريرة إزاء موته الشنيع، عرف الرسل سرّ يسوع واكتشفوا حقيقته, وانكشفت لهم معاني الكثير من اقواله والأفعال التي لم يكن بوسعهم قبل القيامة أن يفهموا مضمونها ومراميها. وفي الوقت ذاته توضحت لهم معاني العديد من النصوص البيبلية التي اكتشفوا صلتها الوثيقة بأحداث يسوع. وإن فِهمهم لسر يسوع وإدراكهم لمكانته في تدبير الله، تحول إلى بشرى أعلنوها بجرأة. وكان ينبغي لهذه البشرى الشفهية أن تقطع ردحا من الزمن قبل أن تتحول إلى بشرى مكتوبة.

(البقية في العدد القادم)